إرادة القوة وصناعة التاريخ في جينيالوجيا نيتشه

The Will to Power and History Making in the Genealogy of Nietzsche

حنان بوطورة*[1]، سميرة منصوري[2]،

[1] مخبر البحوث والدراسات الاجتماعية. جامعة 20 أوت 1955. سكيكدة (الجزائر)،

h.boutora@univ-skikda.dz

[2] مخبر البحوث والدراسات الاجتماعية. جامعة 20 أوت 1955. سكيكدة (الجزائر)،

s.mansouri@univ-skikda.dz

تاريخ الاستلام: 2021/09./06 تاريخ القبول: 2021/11/14 تاريخ النشر: 2021/12/12

ملخص:

أقام نيتشه فلسفته عل مفهوم مركزي فسر من خلاله الكثير من القضايا الفلسفية ومنها رؤيته في فلسفة العلوم وهو مفهوم إرادة القوة، ونحاول في هذه الورقة البحثية التّعرف على كيفية استخدام نيتشه لهذا المفهوم في بناء تصوره لفلسفة التاريخ، من حيث ماهيته وطبيعته المتعلقة بالبعدين الديناميكي والتطوري للتاريخ.

وقد توصلنا في هذه الورقة البحثية إلى نتائج مفادها: أن نيتشه في فلسفته عن التاريخ قد وضع مميزات للإنسان الخارق منها، إرادته القوية التي سيحقق من خلالها الحضارة المتطورة، والأبدية في التاريخ. كما أن هذه العناصر الحضارية منسجمة ومتفاعلة فيما بينها لا يمكن فصلها لأنها تحدد معنى التاريخ والحضارة. وقد تعرضت فلسفته لانتقادات من أبرزها أحكامه العامة فيما يتعلق بالدين ودورهما في التاريخ، وكذا تركيزه على البعد المادي للحضارة متجاهلا أساسها الروحي ومعتبرا إياه مصدرا للانحطاط وهو ما والميتافيزيقا أثبت الواقع الغربي اليوم عدم دقته.

كلمات مفتاحية: فلسفة التاريخ، يتشه، الإنسان الأعلى، إرادة القوة، العود الأبدي.

Abstract:

Nietzsche drew his philosophy on a central concept through which he interpreted many philosophical issues, including his vision in the philosophy of science; the concept of the will to power. In this paper, we try to figure out how Nietzsche used this concept to build

* المؤلف المرسل: حنان بوطورة

his perception of the philosophy of history, in terms of its essence and nature concerning the dynamic and evolutionary dimensions of history.

In this research paper, we have come to the conclusion that: In his philosophy of history, Nietzsche has developed the features of a superhuman, including his strong will, through which he will achieve the evolutionary and eternal civilization in history. These civilizational elements are harmonious and interactive, and cannot be separated because they define the meaning of history and civilization. His philosophy has been criticized, most notably its general provisions on religion and its role in history, as well as its focus on the physical dimension of civilization, ignoring its spiritual basis and considering it a source of decay, which the Western reality today has proved imprecise, along with metaphysics.

Keywords: Philosophy of history; Nietzsche; supreme man; will to power; eternal return.

1. مقدمة:

يعيش الإنسان باعتباره كائن تاريخي في إطار زماني ومكاني، ما جعل موضوع التّاريخ من أهم المواضيع الّتي شغلت فكره، وأنتج من خلال التّفكير فيها فلسفة للتّاريخ حاول فيها فهم مأتاه ومصيره بغضّ النّظر عن ولائه وانتماءاته، فالبحث في مصير الانسان ووجوده وعلاقة هذا الوجود والمصير بالله بهدف بلوغ اجابات وافية لتطلّعاته التّاريخية والوجوديّة أمر لازم كلّ ذهن بشري على مر العصور التّاريخية وهو ما شهد عليه ما خلّفه هذا الإنسان من آثار تحكي هذه التّساؤلات والتّطلعات وتعبّر عن ما توصل له من اجابات ظلّت هي ذاتها محلّ تساؤل من غيره.

وفي الفلسفة الحديثة نجد الفلسفة الألمانيّة وما لها من أثر كبير في تطوير الفكر الفلسفي من خلال الأطروحات الفكريّة الّتي جاء بها العديد من مفكريها لفهم فلسفة التّاريخ كعلم وفن يساعد الإنسان للإجابة على أسئلته الوجودية وفهم وصناعة حياته بناء على ما يتوصل له من إجابات، باعتبار أنّ تأمّل التّاريخ يتيح للإنسان بناء رؤية كونية يحيا من خلالها وينشئ عليها حضارته.

لذا هدفنا من خلال هذه الورقة البحثية إلى التّوجه نحو الفلسفة الألمانية وبالتّحديد أبرز شخصياتها الّتي هزّت تاريخ أوروبا الحديث من أصوله بثورات فكرية عارمة، وصل أثرها إلى الفكر العربي، وقوّضت تاريخ الغرب في فهم التّاريخ وفلسفته وهو المفكر الفيلسوف

الألماني فريدريك نيتشه، ومن هنا دارت إشكاليّة هذه الورقة البحثيّة حول فهم نيتشه للتّاريخ من خلال مفهوم الإنسان الأعلى ورأينا صياغتها كالتّالي:

كيف فهم نيتشه التّاريخ بالمنظور الجينيالوجي؟

وحاولنا الإجابة على هذه الاشكالية بتجزئتها إلى ثلاث مشكلات هي:

1. كيف حدّدّ نيتشه مفهومه للتّاريخ؟
2. كيف فهم نيتشه حركة وتطوّر التّاريخ؟
3. ما هي الثّغرات المعرفيّة الّتي تركتها فلسفة التّاريخ عند نيتشه؟

وقد اعتمدنا في مناقشة هذه الاشكالات منهجا تحليليّا استنتاجيّا، تجسّد في خطة بدأت بالتّعرف على اشكاليّة مفهوم التّاريخ عند نيتشه من خلال تحديد مفهومه للتّاريخ وأنواع التّاريخ عنده ثم تعرّضنا إلى الطّابع الدّيناميكي التّطوري للتّاريخ عند نيتشه وتناولنا فيه حركة التّاريخ عند نيتشه وتطور التّاريخ عنده، وفي الأخير ختمنا بنقد وتقييم لفلسفة التّاريخ عند نيتشه.

2. اشكاليّة مفهوم التّاريخ عند نيتشه

1.2. مفهوم التّاريخ عند نيتشه

لم يتعامل نيتشه مع التّاريخ مثلما تعامل معه معظم الفلاسفة من خلال عرض منهج لدراسة التّاريخ كابن خلدون الّذي حقّقّ في الرّوايات السّابقة عليه مثل رواية المسعودي أو مثلما تعاملت معه التّاريخيّة على أنّه جمع لوثائق وحقائق الماضي بأحداثه وأبطاله، زمانه ومكانه بحيث كان التّاريخ عندهم مادّة يطبّق عليها منهج بهدف الوصول إلى قوانين من أجل التنبؤ بالمستقبل، بل كان هذا الفيلسوف اللّانسقي يصف تلك التّجارب بالقول:" يعتقد هؤلاء التّاريخيّون أنّ معنى الوجود سيأتي للنّور أكثر في مسار تقدّمهم، وهم ينظرون وراءهم فقط ليتعلّموا فهم الحاضر وتمني المستقبل، هؤلاء ليس لديهم أيّة فكرة على الرّغم من إشغالهم بالتّاريخ" (أبو السعود، د.ت، صفحة 209)

وتأسيسا على ذلك يمكن القول أنّ نيتشه يرفض فكرة الانشغال بالتّاريخ بوصفه سجلا للماضي نستفيد منها لعيش المستقبل كما فعلت المدرسة التّاريخية، لأنّهم في نظره لم يفهموا التّاريخ وإنّما قاموا بتفسيره وفقا لأغراضهم بتعاملهم مع التّاريخ على أنّه مادة يمكن دراستها وفق منهج لنصل إلى قوانين تسمح بالتّنبؤ بقوانين المستقبل.

وهذا في منظور نيتشه يضعف ما يتّصف به الحاضر من تلقائيّة (ألبان و ويد، 1972، صفحة 199)، فلا ينبغي الانشغال بالتّاريخ على أنّه سجل الماضي بل النّظر إليه على كونه مشكلة فلسفيّة وجوديّة عينيّة، أي باعتباره الحياة أو البحث في الحياة، وقيمة هذا البحث تتجلّى في مدى استفادتنا من الزّمن القادم لتحقيق النّموذج الأسمى للحياة الإنسانية (أبو السعود، د.ت، صفحة 196)

ويمكننا من خلال النظر في الكيفيّة الّتي درس بها هذا الفيلسوف تاريخ الفن والأخلاق التّعرف إلى المهمّة والغاية الّتي كان ينشدها من هذه الدّراسة وهي الحياة، إذ حاول في فلسفة الفن أن يقدّم نموذجا للحياة السامية في اليونان، لتكون للإنسانية حضارة مثلها في المستقبل، أمّا في فلسفة الأخلاق فقد قدّم مشروع تقييم للأخلاق الموروثة من تعاليم الدّين، ودعا إلى قلبها من خلال البّحث في أصلها بداية ثم مدى الحقيقة الّتي تحملها. (أبو السعود، د.ت، صفحة 198)

وبالتّالي فقد سعى نيتشه في تحديد مفهومه لتاريخ الفن والقيم إلّى إبراز الظّروف العينيّة التّاريخيّة الّتي تولّدت فيها هذه القيم من أجل بلوغ حقيقة لم يدركها في عالم المثل كما أدركها في واقع الفعل الإنساني الّذي سيتبع الإرادة، ليكون للإنسان معنى وقوة ولا يكون ريشة في مهب ريح الصّدفة الحاسمة وبيد اللّامعنى. (فريد ريك ، 1981، صفحة 196)

تأسيسا على ما سبقن يمكن فهم مقت نيتشه للتّاريخيّة الّتي رأى أنّها حققت غايتها في عصره من خلال ما كان لها من الأثر الأكبر في سقوط الحضارة.

حيث يقول نيتشه في كتابه استخدامات ومساوئ التّاريخ بالنّسبة للحياة:"....إن الحس التاريخي المتضخم كما هو في عصرنا بإمكانه أن يدمّر الأمّة." (أبو السعود، د.ت، صفحة 203)

ويوضّح لنا هذا النّص المفهوم المزيّف الّذي منحته التّاريخيّة للتّاريخ، والفائدة المرجوة منه، وتعتبر عند نيتشه البذرة الّتي من شأنها أن تحطم الأمّة، وبهذا يرد في الكتاب ذاته بالقول:" أيّ فائدة للتّاريخ إذا انحصر في كونه تعليما عقيما بغير حيوية ومعرفة ؟....نحن نحتاج التّاريخ من أجل الحياة، وبالفعل لا لكي ندير ظهورنا للحياة." (أبو السعود، د.ت، صفحة 203)

ومنه يمكن القول أنّ التّاريخ عند نيتشه هو قوة خلّاقة مبدعة للحقيقة في أشكالها المتغيّرة تنبع من إرادة القوة للتّغير والخلق والإبداع والفاعليّة والنّشاط وليس الارتداد للوراء.

2.2.أنواع التاريخ عند نيتشه

يقترح نيتشه من منظوره للتّاريخ باعتباره الحياة، وباعتبار الحياة أنّها إرادة القوّة لا أشكال لدراسة التّاريخ وكتابته، ثلاث أنواع للتّاريخ وكلّها متعلّقة بالحياة وهي: التّاريخ التّذكاري، التّاريخ العتيق، التّاريخ النّقدي.

1.2.2.التّاريخ التّذكاري

إن هذا النوع من التّاريخ عند نيتشه يحتاج لإنسان مفعم بالقوّة والإدارة، وقدرة على الفعل، لا تستوقفه من التّاريخ سوى اللّحظات الكبرى من الحياة، ليدرك أنّ الأفعال البطوليّة المجيدة كانت ممكنة في يوم ما، ولأنه بإمكانه إعادتها (أبو السعود، د.ت، صفحة 204)

إنّ الفائدة المرجوة من هذا التّاريخ هو تعزيز الحياة للإنسان ليندفع نحوها بكل قوّة، من خلال الكشف عن الماضي بأمجاده وعظمته ليحقّق مثل ما حققوه، وهذا ما رأيناه من خلال ميلاد التراجيديا، هذا المؤلّف الّذي أراد به نيتشه أنّ يُحي روح الحضارة الاغريقية الّتي قال عنها مالك بن نبي: "أنها تميّزت بالملاحم كالأوديسة والإلياذة ليست هي العهود الّتي توجه فيها الشّعوب طاقتها الاجتماعية نحو أهدافها الواقعية سواء أكانت بعيدة أو قريبة....،ما مجهود الأبطال الّذين يقومون بأدوارهم في تلكم الملاحم إلا جهودا من أجل الطّموح واكتساب المجد وإرضاء العقيدة." (بن نبي، 1985، صفحة 19)

ويرى نيتشه أنّ الضّرورة دائما هي مواجهة الزّمن، وبذلك علينا أن نحفظ حياة الأبطال وهؤلاء الّذين كانوا بحق أبطال لأنّهم وقفوا ضدّ هذا الزّمن وصنعوا أمجادهم، لذا هم عائدون لا محال، رغم الصيرورة والتّحول، ويثبت ذلك نيتشه من خلال قراءته في الحضارة اليونانيّة الّتي لم تندثر ولم تزول، وكذلك من خلال الأبطال الّذين صنعوا التّاريخ مثل؛ نابليون الّذي رأى المجد في صهوة جواده أثناء دخوله ألمانيا بالحرب الفرنسيّة الألمانيّة، ومن أمثاله هم من يمنح لهم التّاريخ العود الأبدي في الحياة. (برهييه، 1987، صفحة 131)

كما رأى الأمر ذاته في الألمان باعتبارهم صنّاعا للتّاريخ من خلال حركة النّازية الّتي قادها هتلر ويقول نيتشه فيهم: "من السّهل أن يتصوّر المرء كل ما أعنيه بذلك، أني أعني

طائفة من الحيوانات الكاسرة الشّقراء، عرقا من الغزاة والأسياد مزوّدا بتنظيم قتالي دونما تردّدّ أو تفكير." (فريدريك، 1981، صفحة 81)

فالتّاريخ في تصوّر نيتشه إذا هو منبع لكلّ شجاعة، لا يفهمه إلاّ من كانت له إرادة قوة وفعل، فهو مدرسة نستمد منها القدرة لعيش الحاضر، أمّا التّاريخ الّذين يدرسون فيه العبيد والقطيع على حد تعبيره فإنّهم يولون تلك البطولات والأمجاد إلى خيال لا يمكن أن يعاد إليه، فالماضي عندهم فات وانقضى ولا يمثل لهم سوى تاريخا للأسى والحقد والكره، في حين أنّ التّاريخ هو العظمة الّتي لا يصنعها إلا الأبطال. (أبو السعود، د.ت، صفحة 204)

ويقدم نيتشه مثالا عن هؤلاء الّذين كسروا عظمة التّاريخ بحقدهم في كتابه استخدامات ومساوئ التّاريخ:" وتاريخ البشريّة يصبح تاريخا أخرقا، الحقّ يقال بدون تلك الرّوحية الّتي نقّحها العاجزون فيه فالنّظر لإبراز مثال عمّا نقول.... اليهود هذا الشّعب الكهنوتي الّذي لا يعرف معنى للّراحة في صراعه مع أعدائه والمتغلّبين عليه إلا عندما توصّل إلى اجراء تحويل جذري على جميع القيم.). (فريدريك، 1981، الصفحات 29، 30)

فالتّاريخ عند نيتشه لا يصنعه إلاّ الأبطال الّذين لديهم القدرة على قلب الحياة، وتأسيسها من جديد بإلغاء جميع القيم الرّوحيّة والفرق بين القوي والضّعيف في استعمال التّاريخ يكمُن في أنّ الضّعيف يكون منطلقه الحقد سواء كان ذلك بصورة واعية أو غير واعية، وهنا تكمُن خطورة استعمال التّاريخ. (أبو السعود، د.ت، صفحة 204)

2.2.2.التاريخ العتيق

ويقوم هذا النّوع من التّاريخ على تبجيل والاعتراف بفضل الأسلاف، والمحافظة على كل ما ورثوه لخدمة الحياة، فالباحث في هذا التّاريخ حسب نيتشه يهتم بما هو موجود في الماضي للمحافظة عليه وخدمة حياة من يأتون بعده، غير أنّه يتساءل ما فائدة هذا التّاريخ إذا اعترف المؤرخ بالماضي فقط متناسيا أنّ هناك جِدّة لابد من أن يحدثها في حياته؟ فما فائدة الحس التّاريخي لدى الباحث الّذي يدفعه للتّجديد والإبداع إذا كان سيعيش الماضي فقط؟ لذا يشبه نيتشه هذا النّوع من التّاريخ بالشّجرة الميّتة من جذورها إلى أغصانها، لأنّه يوجه الاهتمام إلى الجذور فقط متجاهلا الأغصان وهو ما يؤدي في النّهاية إلى موت الاثنين الجذور والأغصان فلا وجود لشجرة بلا أغصان تعدّ دعامتها بما تحمله من أوراق. (أبو السعود، د.ت، الصفحات 205، 206)

ويشدّ هذا النوع من التّاريخ ذاكرتنا إلى الأزمة الّتي مر بها الفكر العربي عندما أراد زعماؤه تحقيق نهضة عربية تضارع النّهضة الغربيّة فأحدث ذلك سجالا لا يزال يعيق أي نهضة وهو انقسام المفكرين إلى اتجاهين متضادّين فاتّجه البعض إلى معاصرة الغرب والتّمسك بتاريخ الحضارة الغربيّة ومنطلقاتها كما هي في حين رأى البعض التّمسك بالأصول كما هي، وهذا ما يرفضه نيتشه فالعلم بالتّاريخ العتيق لأي ظاهرة لا يكفي لكي نصنع الحاضر ولا يصلح لممارسة الحياة بقوّة، إنّما هو دعوة للجمود والرّكود، فلا بد من تفكيك الأصول الفكريّة لأي ظاهرة تاريخيّة وتمحيصها ونقدها لإنتاج الجديد منها والإفادة بما هو جيد منها وتجنّب كل ما يضعف الحياة.

3.2.2. التاريخ النقدي

إذا كان التّاريخ التّذكاري هو جمع لحوادث الماضي والسّيطرة عليها، وكان التّاريخ العتيق هو التّمسك بالماضي كما هو والعيش فيه، فإنّ التّاريخ النّقدي هو الدّراسة النّقدية للتّاريخ الإنساني بكل أشكاله.

ويعرّف نيتشه التّاريخ النّقدي بأنّه تلك القوّة الّتي تحاكم الماضي وتدينه (أبو السعود، د.ت، صفحة 207)، أي أنّه الدّراسة النّقدية للتّاريخ ووضعه أمام محكمة التشكيك، الإدانة، لتحطيمه أحيانا إذا كان مصدرا للضّعف والعمل به أحيانا أخرى إذا كان مصدرا للقوّة والحياة.

حيث يقول نيتشه: "مات بوذا إلا أنّهم استمروا قرونا طويلة يعرضون ظلّه في كهف عظيم مخيف، مات الله، لكن من طبيعة البشر أنّه ربما لآلاف السّنين ستبقى هناك كهوف تعرض ظلّه، ونحن بدورنا علينا أن نقضي على ظلّه أيضا". (فريدريك، 1981، صفحة 107)

من خلال ذلك يريد نيتشه أن يصف التّكرار الجامد للماضي بالكهف المظلم المخيف والعظيم لأنه تدفن به طموحات وحياة ألاف وملايين الأشخاص في ظلمة الجمود والتكرار واجترار الأفكار الماضية كما هي بكل ما يعتريها من ضعف حتى تصل لنا، وعليه لابد أن نمتلك القوّة لأن نستمر بمحاكمة التّاريخ التّذكاري والعتيق في محكمة الحياة لنجعل منهم وسيلة للعيش لا كهفا ندفن به ونحن على قيد الحياة.

ويقول نيتشه في ذلك:" إنّنا نريد أن نكوّن تجاربنا الخاصة" (فريدريك، 1981، صفحة 89)، فالحياة كما ينظر لها نيتشه لا تبنى على صرح الماضي فقط، بل أحيانا تبنى على

تحطيم الماضي، فيقول: "من أجل بناء معبد لابد من هدم معبد آخر." (فريدريك، العلم الجذل، 2001، صفحة 175)، هذا الهدم لا يقوم به إلا الأقوياء والسّادة، فهم وحدهم قادرون على تحكيم التّاريخ وفهمه.

انطلاقا مما سبق، يمكن القول أنّ نيتشه لم يهتم بالأنواع الثلاثة للتّاريخ ودراسته إلاّ من خلال ربطها بمفهوم القوّة النّفسية الّتي هي قوّة غريزية تعبر عنها إرادة القوّة، وكيف تجسّدت في هذه الأنواع الثلاثة، حيث كان للتّاريخ النّقدي بالنسبة لمنظور نيتشه نصيب الأسد، لأنّه يحثّ على التّجديد والبحث في كهف أسرار التّاريخ ليزيد الإنسان قوّة بما يصل إليه من حقائق، أمّا أولئك الّذين يريدون أن يعيشوا التّاريخ فإنهم يحرمون أسرار الحياة ويظلّون يجترّون الماضي الّذي لن يزيدهم إلا ضعفا ووهنا.

3. الطابع الدّيناميكي والتّطوري للتّاريخ عند نيتشه

1.3. حركة التاريخ عند نيتشه

أقام نيتشه معنى وأنواع التّاريخ على فكرة إرادة القوّة فكان لزاما عليه دعم وجود هذه الفكرة بدعامة أخرى خاصة إذا سؤل عن مدى امتداد هذه القوّة في الزّمن أو التّاريخ، وكانت هذه الفكرة الداعمة هي فكرة العود الأبدي، الّتي اهتز لها فرحا سنة 1881، فكيف لهذا العود الأبدي أن يتحكّم في مسار التّاريخ وحركته؟

ركز نيتشه فهمه للتّاريخ على بعد نفسي تمركز حول فكرة إرادة القوّة التي منبعها نفس الإنسان الأعلى، ولكونها الدافعة له لإدراك الحقيقة غير الثّابتة فعليه العودة لها دائما وإلى ما لا نهاية، بحيث يمثّل كل عود حياة جديدة لإنسان خارق جديد، ومن منطلق هذه العودة يمكن للإنسان الأعلى أن يفسّر ماضيه. (فريدريك، العلم الجذل، 2001، صفحة 58)

وإذا كانت الحياة عند نيتشه هي الغاية فإنّ ذلك يقتضي عنده أن يكون الزّمان لا نهائيّا يفترض دائما أن تأتي لحظة من لحظاته يعود فيها تركيب الوجود، لأن التّاريخ عبارة عن دورات لكل دورة منها زمنها المحدد لكنّها مماثلة دائما لباقي الدّورات. (بدوي، 1979، صفحة 47)

ومن هذا المنطلق تكون الحقيقة عند نيتشه هي ذلك السّراب الذي يسعى الإنسان الأعلى للحصول عليه من خلال عودته الدّائمة لبلوغ الكمال، فيتشكّل مسار التّاريخ بذلك في

دورة دائما ويقول في ذلك: "إنّه من السّنن الأزليّة أن يعيد التّاريخ نفسه كما تعيد الشّمس كرّتها من نقطة الانقلاب". (بن نبي، 1985، صفحة 47)

غير أنّ هذا العود الّذي يتكلّم عنه نيتشه لا يعني ولا يقابل العود الّذي تكلّمت عنه التّاريخيّة ولا ينطلق من ذات المنطلق الّذي انطلقت منه في فهم اعادة التّاريخ لنفسه، بل يعني بذلك أنّ الحياة تعود دائما من خلال الحضور الدّائم للإنسان الأعلى الّذي يمتلك ارادة القوة لإعادة بعثها من جديد بالتّجديد والمسائلة لماضيه، لأنّ الوجود في تغيّر وصيرورة. هذا التّغير لا ينقطع والضّامن لهذه الدّورات هو ما يسمّيه نيتشه (السُّنَّة الكبرى للصّيرورة) والّتي تعقب نهاية كل دورة وبداية أخرى، كأن الوجود كلّه صورة واحدة تتكرّر بلا انقطاع في الزّمن اللانهائي، حيث يقول: " كلّ شيء يغدو كل شيء يعود وإلى الأبد تدور عجلة الوجود" (بدوي، 1979، صفحة 515)

ومن منطلق أن إرادة القوّة لدى الإنسان الأعلى تنفي كلّ ضعف، أو أي حاجز أمامها يعيقها على عيش الماضي بمفهوم العود الأبدي الّذي يجعل الزّمن محطما أمامها، فإنها بذلك تقضي على كل آلامها. (فؤاد، د.ت، صفحة 145)

وعليه، يمكن القول أنّ فكرتي إرادة القوّة والعودة الأبديّة أعطتا للتّاريخ معنى وبعدا نفسيّا أكثر منه شيء آخر وهذا ما مكّن نيتشه في فهم زمان هذا التّاريخ وجعل المستقبل هو تطوّر للماضي الّذي لا يفهم إلاّ بالانتقال إلى المستقبل وهكذا يظلّ الإنسان الأعلى محفّزا على الاستمرار في العيش وتحقيق آماله.

ومن خلال ذلك يمكن ملاحظة أنّ فكرة العودة الأبديّة لدى نيتشه هي تعبير عن الخلود في الحياة عكس ما كانت عليه في الفلسفات القديمة الّتي يرى فيها إنكارا للحياة (فؤاد، د.ت، صفحة 143)، كما تبرز في فكرة العود الأبدي خوف نيتشه من المستقبل والموت أو الفناء، وكذا رفضه لواقعه الّذي مرض لأجله والبحث عن منطلق يقضي على التّشاؤم الّذي ميز عصره، ويكون بذلك التّاريخ هو الحياة والحياة هي العود الأبدي الّذي تجسّده إرادة القوّة، حيث يرى نيتشه أنّ هناك صراعا في التّاريخ البشري، وهناك قوة فاعلة ما تمارس على الإنسان، وتعطي لنفسها مهمّة ترويضه ويتجلّى هذا الصراع في وجهين: (دولوز، 2001، الصفحات 170، 171)

- الضّغط التّاريخي الّذي تمارسه دولة أو كنيسة على الأفراد الّذين يتعلق الأمر باستيعابهم.
- نشاط الإنسان ككائن نوعي ونشاط النّوع الإنساني، بوصفه يمارس على الفرد بما هو فرد.

2.3. تطور التاريخ عند نيتشه

إنّ حركة التّاريخ الدّائرية والّتي هي في عودة دائمة عند نيتشه تتألّف من عدة عناصر تتفاعل فيما بينها من أجل كمالها وهي؛ الانسان، الثّقافة، الحضارة. فكيف تتفاعل وتتطوّر هذه العناصر في حقب التاريخ؟

1.2.3. تطوّر الانسان عبر التاريخ

إنّ الإنسان في فلسفة نيتشه هو دعامة أساسيّة، وقد حاول تحليل هذا المفهوم في بعده التّاريخي، فتعرّض لتشكّلاته عبر التّاريخ، من انطلاقة تحدّدّ الإنسان كمسيّر لهذا التّاريخ، ومبدع للثّقافة بفكره، الّذي يجسّد لنا الحضارة، فهو بذلك صانع التّاريخ.

وقد شرح نيتشه طموحه لإيجاد عالم من خلال تطوّر الرّوح في التّاريخ والّذي مرّ بثلاث مراحل هي: (بيتر بور كارد، 2007، صفحة 179)

- في البداية الرّوح يتحوّل إلى جمَل محُمّل بأخلاق قديمة، والّتي يسمّيها نيتشه بـ (أخلاق القطيع).
- في المرحلة الثّانية يتحول إلى أسد يصارع التّنين والّذي يمثّل القيم القديمة حتّى ينتصر عليها.
- ويتحوّل في الأخير إلى طفل يلعب ويصنع قيمه على لوحة التّاريخ.

ويرمز الجمل إلى الإنسان الخانع الّذي يحمل أثقالا من الأخلاق على كاهله والّتي لا يعرف عنها شيء ولا يفهمها وإنّما يتّبعها على عمى، فتصنع ضعفه وانحطاطه عبر التّاريخ، وعند إدراكه لأصل هذا القيم يقرّر أنْ يتحوّل إلى أسد يمتلك زمام حياته ويقاتل من أجلها فيتجاوز تلك القيم البالية بإرادة القوّة الّتي تصنع ذاته وتتحكّم فيه مثلما تصنع ذوات الآخرين- عندما يتحوّل الجمل إلى أسد فإنّه يمجد "اللاّ"،هي ليست لا العدميّة بل هي لا مقدسّة تسعى لتدمير كلّ القيم البالية الّتي كرّست العدميّة (الزغبي، 2008، صفحة 65)، والإنسانيّة هي

الّتي يتوصّل لها في المرحلة الأخيرة عندما يصبح كالطّفل الّذي يخط ويرسم أحلامه وقيمه الإنسانيّة على لوحة التّاريخ وهو الإنسان الأعلى. (سوفرين، 2002، صفحة 56)

وهذا الطّفل هو زرادشت نفسه، محرّر من كل الأثقال يخلق عالما جديدا من القيم، وتصبح الأرض هي المقياس الأوّل والأخير، كما يكون الإنسان هو الخالق وتتحقّق حرية هذا الخالق في إرادته، أمّا جوهره فيكمن في تجاوزه لذاته المستمر في الزّمن اللانهائي (عبد السلام علي جعفر، 2001، صفحة 246)، فالمستقبل أصبح بيد الإنسان الأعلى الّذي هو خلق وإبداع خاص بالمستقبل لم يشهد التّاريخ مثله لأنّه يعلو على الإنسان الحالي، فلم يظهر في التّاريخ إلا أشباه هذا الانسان بصورة نسبيّة في تصوّر نيتشه مثل؛ فاجنر ونابليون. (عبد السلام علي جعفر، 2001، الصفحات 226، 227)

لذا فقد نقد نيتشه التّاريخ بمفهومه الكلاسيكي الّذي يرجع سير التّاريخ لإرادة عُليا خارج الإنسان، وهو المفهوم الّذي رأى فيه نيتشه سلبا لإرادة وحرّية الإنسان وفاعليته في التّاريخ، ولا يمكن أن يمارس الإنسان الأسمى إرادته وحرّيته الفعليّة إلاّ في إطار الزّمن والصّيرورة التّاريخيّة، فهو يبني مستقبل انطلاقا من ماضيه. (سوفرين، 2002، صفحة 136)

2.2.3.تطوّر الثّقافة عبر التّاريخ

يسمي نيتشه الثّقافة بأخلاقيّات العادات، وهي الّتي تمثل القيود والأغلال الّتي تعمل على ترويض الإنسان والعمل على تنشئته منذ أن كان حيوانا إلى أن يتعوّد على النّظام (فريدريك، 1981، الصفحات 54، 55)، ومن هنا تصبح الثّقافة كسلوك إنساني تتبع جدول القيم بمعنى عددا من الخبرات، وأعظم تلك الخبرات هي الّتي يتجه لها المجتمع والنّاتجة عن صفوة القوم في الثّقافة وهي نوعان: (كرم، د.ت، الصفحات 405-410)

ثقافة السّادة: وهي تقدّم وتطوّر من صنع الأبطال وتمثّل معتقدات يؤمنون بها ويسعون للسّيطرة بها على البّشريّة.

ثقافة العبيد: وهي رمز الانحلال والتّدهور، ميّزت جميع الحقب التّاريخيّة.

ثقافة الضّعفاء: وهي رمز الانحلال والتّدهور، وميّزت جميع الحقب التّاريخيّة

وقد ذهب جيل دولوز إلى أنّ الثقافة عند نيتشه لها ميزتان: (دولوز، 2001، صفحة 170)

- الثّقافة كمفهوم ناتجة عن الّذي يكون مطاعا لدى شعب أو عرق.

- طاعة القانون: لأنّ القانون قوة فاعلة على الإنسان وترويضه.

ولا يجب الخلط بينهما من جهة الضّغط التّاريخي الّذي يعني القهر الّذي تمارسه سلطة ما على الأفراد، ومن جهة نشاط الإنسان بوصفه فردا. (دولوز، 2001، صفحة 171)

ويذهب نيتشه إلى أنّ الثّقافة مرّت في تطورها بثلاث أحقاب تاريخيّة وهي:

القبتاريخيّة:

تكون الثّقافة فيها نشاط نوعي للإنسان، كما يقول نيتشه: "العمل الحقيقي الّذي اشتغل به الإنسان على ذاته خلال أطول حقبة من عمر الجنس البشري، كل ذلك العمل الّذي أنجزه خلال فتره ما قبل التّاريخ" (فريد ريك ، 1981، الصفحات 54، 55)، في هذه الحقبة حملت الثّقافة معنى الضّعف والانحطاط إذ كانت محدّدّة وفق سلّم قيم وعادات كان ينظر لها كمُثل عُليَا ميّزت نشاط الإنسان وأجبرته على احترامها. (كرم، د.ت، صفحة 409)

- حقبة ما بعد تاريخي:

عندما يتحطّم سلّم القيم في ثقافة القبتاريخيّة تحمل الثّقافة معنى آخر هو الما بعد تاريخي أين يظهر الإنسان الخارق ويتحمّل مسؤوليّة النّهوض بهذه الثّقافة، فيعلن عن ميلاد ثقافة جديدة تكون بدايتها قلب جميع الأصنام الثّقافية الّتي عرفها نشاط الإنسان قبل التّاريخ، فينتج عن ذلك ميلاد ثقافة جديدة تتميّز بأخلاق وفن وفهم جديد للحياة، وعموما فالثّقافة بالمفهوم التّاريخي والقبل تاريخي عند نيتشه هي ثقافة منحطّة تساوي:

الله+ إرادة قوّة سلبية+ قوّة ارتكاسيه+ إنسان.

أمّا الثّقافة ما بعد تاريخيّة تساوي:

موت الإله+ إرادة قوّة إثباتيّة+ قوى فاعلة+ إنسان أسمى. (سوفرين، 2002، صفحة 74)

3.2.3.تطوّر الحضارة عبر التّاريخ

لطالما أبدى نيتشه في مؤلفاته اعجابه بالحضارة الإغريقيّة مرجعا سبب تطوّرها إلى عاملين: الأوّل؛ تطوّر الذوق الجمالي والثّاني؛ تطوّر الذّوق الأخلاقي، ومن خلال ذلك يمكن أن نفهم المبدأين الأساسين اللذين تتغيّر وتتحقّق من خلالهما الحضارة وهما؛ مبدأ الجمال ومبدأ الأخلاق.

وقد حدد نيتشه لتطوّر الحضارة كمفهوم مادّي عملي ثلاث مراحل هي:

مرحلة قبل التاريخ:

أي قبل عهد سقراط أين نشأت هذه الحضارة باتفاق روحين أو إلهين هما:(أبولون وديونسيونس)، ورأى نيتشه في هذان الإلهان ضرورة للحضارة كضرورة المرأة والرجل لامتداد النسل، فالإغريق انتبهوا لهذين الإلهين لأنّهما يعبّران بالأشكال المميّزة والمقنعة لآلهة الإغريق، فهما يحملان نقيضان بين روح النّشوة والحلم وهاتين الخاصّيتين لابد أن يسيرا مع الحضارة جنبا لجنب، ليكون هناك خلق وإبداع بإرادة قوية هيلينيّة جمعت بينهما لتغلب روح النّشوة أو روح ديونسيونس هي المسيطرة. (Friedrich , n.d,p48-80)

لكن سرعان ما تنتهي الحضارة في المنظور قبل تاريخي، لتدخل في حقبة التّاريخ، أين يتشوه معناها خاصة بعدما تتعارض روح "ديونسيونس"، روح النشوة والإبداع مع روح سقراط في العهد الإغريقي الثّاني، الّذي قتل فيه سقراط حسب نيتشه جميع مبادئ الحضارة، حيث يرى نيتشه أن سقراط شيطان حطّم النّشوة بدعوته إلى العقل والمنطق، ما جعل التّعارض بين الطبيعة الغريزيّة والطبيعة الواعية للإنسان تظهر وانهار مع ظهورها قوى الإبداع للإنسانية وساد الانحطاط الدائم.(Friedrich , n.d,p108)

ثم كانت مرحلة الانحطاط الثّاني للحضارة في رأي نيتشه على يد المسيح، الّذي جاء بالدّين كخرافة جعلت الإنسانيّة تعيش الضّعف، واستمرت دعوة سقراط والمسيح في التّاريخ، ليكون هناك انحطاط دائم، وكل ما ظهر من مفهوم الحضارة، ما هو إلا بظهور الإنسان الأعلى عبر الزّمن، فهذا الإنسان في منظوره هو عبقري التّاريخ والحضارة الّذي يتميّز في طبيعته بالكذب والعنف وأشدّ الأنانيّات، إذ يشبه بالكائن الشّيطاني والشّرير الّذي يحمل نوايا حسنة وشرّيرة، هو ذلك الحيوان النّصف إنسان ويميّزه بصفة الخارق، بالإضافة إلى امتلاكه أجنحة ملاك في رأسه. (فريدريك، إنسان مفرط في إنسانيته، 1998، صفحة 138)

تأسيسا على ما سبق، يمكن القول إن نيتشه أعطى للحضارة مفهوم ما بعد تاريخي، مفهوم جديد أراد له أن يتحقق عبر دورات التّاريخ، وعودته الدائمة، فالثقافة كفكر لا تحققها إلا قاعدة الإرادة الإنسانية الّتي تجسّد الحضارة كمادّة، من خلال العودة الدّائمة في التّاريخ، فيعود النموذج لأساسي في الحضارة هو الإنسان الأعلى، ثم تتبعه الثقافة والحضارة كنتيجة لظهور الإنسان الأعلى.

4. نقد وتقييم فلسفة التاريخ عند نيتشه:

- اختصاص نيتشه في فقه اللّغة جعله يعطيه مفهوما آخر فبعدما كان فقه اللّغة يبحث في اللّغويات، أصبح وسيلة لمعرفة بنية الحياة، وأسسها من أخلاق وفن وأنطولوجيا، أنثروبولوجيا، وهذا أوّل ما يمكن استخلاصه من نصوص ومصادر نيتشه.
- وقد اعترف ميشال فوكو بدور نيتشه في تطوير فلسفة اللّغة وبالذّات فقه اللّغة، إلاّ أنّه رأى أنّ نيتشه لم يأتي بجديد على أشياء لم تكن تحمل معنى في مشروعه التّأويلي، حيث يقول إن نيتشه لم يقم إلا بتغيير طبيعة الدّال، وبدّل الكيفيّة الّتي كان بإمكان الدّلالة أن تؤول إليها فأصبحت تحمل معنى أعمق لكن هذا العمق خارجي لأنّه لا يؤدّي إلاّ لمظاهر الخنوع والنّفاق ولبس الأقنعة. (فوكو، 2008، صفحة 33)
- سعى نيتشه من خلال جينيالوجيا الأخلاق الّتي تقوم على إرادة القوّة، وفكرة الإنسان الأعلى إلى القضاء على مفهوم الميتافيزيقيا الّتي عدّها سببا للانحطاط والخمول في الحضارة الغربيّة، غير أنّ هذا الطّرح وإن كان يستقيم في نقد ميتافيزيقا الغرب لما تضمنته من شروخ وتناقضات، فإنّه لا يستقيم في نقد الميتافيزيقا بصورة عامّة، لذا كان الأجدر بنيتشه أن يلتزم بمبدأ التّمحيص لتاريخ الميتافيزيقيا ليخلّصها من الشوائب الّتي علقت بها في رحلتها التّاريخية وكانت سببا في ضعفها وإضعافها لمتّبعيها والإبقاء على عناصر القوّة بها.
- من خلال فلسفة التّاريخ ألغى نيتشه مفهوم الغيريّة في التّاريخ، ورأى أنّ التّاريخ هو الحياة الّتي لا تكون إلاّ بالإنسان الأعلى وللإنسان الأعلى، وبذلك يكون قد ألغى جزء كبيرا من التّاريخ، لأنّه لم يعترف إلا بذاته.
- ويصف فؤاد زكريا هذه الفكرة بالغيرية والأنانية والتي حللها كما يلي: الغيريّة عادة ما تقام في مقابل الأنانيّة فتعترف بالغير في مقابل الأنا، لكن حيث يصبح الأنا شاملا للغير تختفي فكرة الغيريّة، ويصبح للأنانيّة معنى مغاير لما عرفت به من قبل، أي أن تعود مصدر للشّعور وإنّما تنطوي في الوقت ذاته على الأنانيّة والغيريّة معا. (فؤاد، د.ت، صفحة 92)

- تعتبر نظرية نيتشه في العودة الأبديّة نظريّة ذات بعد ميتافيزيقي تعتمد التّاريخ الظّني حاول تبريرها علميّا وغم ذلك فقد أعطى للزّمن مفهوما جديدا مغايرا لما تقدّمه الفيزياء الحديثة، وفتح بذلك مجالا جديد للبحث في الفيزياء.
- اعترف نيتشه بمفهوم القوّة كمفهوم ثاني في فلسفة التّاريخ عنده، رغم أنّها قوّة عمياء لا تمجّد إلا نفسها ولا تحقّق إلاّ حاجيّاتها وقانونها الغاية تبرّر الوسيلة في حين أنّ إرادة القوّة ضرورتها ينبغي أن تدعوا لحريّة نظاميّة لتحقيق التميّز الفعلي.
- سيكولوجيّة نيتشه الّتي بنى عليها فلسفته عن التّاريخ كانت هدّامة سعت بكل قوّة لهدم التّراث وإقصائه لصالح مستقبل مجهول، فقد جعل الإنسان مركز ذاته ليكسبه الحريّة ويفقد الأمان وهو ما ينتج عنه مجتمع السّيولة الّذي تكلّم عنه زيجمونت باومان واصفا إياه بمجتمع الهويّة الهجينة واللاستقرار الّذي فكّكّ المراكز الكبرى والمرجعيّات ليحوّلها إلى سلعة تستعملها الآلة الاستهلاكيّة وتتاجر بها في سوق مفتوحة فبعدما كانت متاحة للإنسان مجانا في مجتمع المراكز الصّلبة أصبح يشتريها ولا تحقق ذات الغاية ولا تشبع حاجة بل تزيد من عطشه للأمن والحياة المستقرّة. (زيجمونت، 2017، صفحة 109)
- لقد كان تمجيد نيتشه للحرب أمرا مبالغا فيه، فقد علّمنا التّاريخ أنّ الحرب لم تخلّف سوى الدّمار والخراب للبشريّة، فقد كانت نظريّة صراع الحضارات الّتي تبناها الغرب ودافع عنها دافعا أساسيّا للأزمات بين دول العالم وشعوبها، فحلّ الصّراع بدل الحوار، القسوة بدل الرّحمة لذا وجب تقديم مشروع بديل للحضارة الغربية يقوم على منطق الرّحمة بدل الصّراع.
- لقد كان نيتشه مؤمنا بالله حتى في أشدّ لحظات إلحاده المعلن، فقد أوقف فكره على اختراع مثل أعلى بديل عن الله وهو السّوبرمان، أو الإنسان الأعلى فلم يستطع بذلك الخروج من مفهوم المركز والمطلق. (أنس، 2007، الصفحات 16، 17)
- مجّد نيتشه الإنسان الأعلى من خلال فلسفة التّاريخ، ورأى أنّ تحقيقه لن يكون إلا في الجنس الألماني، وهو ما دفع الكثير إلى اعتباره من دعاة التّكتّلات والتّحزّبات العرقيّة والقوميّة، خصوصا بعد هتلر وتمجيده للجنس الألماني. (فؤاد، د.ت، صفحة 126)
- إن التّعمق في قراءة نيتشه يكشف لنا عن زيف أسلوبه الّذي بالغ في قلب القيم وسخر من كل فضيلة، في مقابل مدح الرّذائل، وهو بذلك يقدّم لنا خيالا لا منطقيا يشدّنا

ببراعة أسلوبه ويغطّي أعيننا عن عجزه المنطقي في أفكاره. (ديورانت، 1982، الصفحات 548، 549)

- كان منهج نيتشه السّيكولوجي شرسا في أحكامه ومتعسّفا حيث اعتبر كل حبّ مسيحي يحمل في طيّاته حقدا دفينا، غير أنّ المتأمّل والدّارس لتاريخ المسيحيّة يجد شخصيّة المسيح في بدايتها لم تكن هي أبدا تلك الّتي عبّر عنها الكهنة والقساوسة داخل الكنيسة، فالحقد سببه حسب نيتشه العجز، وهذا ما لا يمكن مطابقته مع السّيد المسيح عليه السّلام، كونه نبي ورسول يستمد قوته من قوة الله المطلقة وهو ما ينفي عنه أي عجز.
- لقد خيّب نيتشه آمال الكثيرين من الّذين توقّعوا منه كفيلسوف باحث عن الحقيقة شيئا من الانصاف في حكمه عن التّاريخ، من خلال الكشف عن ملامح المسيح الحقيقية وفضح كل تشويه بشري لهذه الشخصيّة (إبراهيم، 2005، صفحة 301)، ولكن يبدو أنّه لم تكن أولويّته في قراءته لشخصيّة المسيح نقديّة تمحيصيّة موضوعيّة بحثا عن الحق بقدر ما كانت انتقائيّة تبريريّة تعيد قراءة التّاريخ لتكيفّه مع أفكار مسبقة لديه عن الدّين وكل رموزه بالمطلق الأعم.
- كانت فكرة موت الإله عند نيتشه نتيجة لعدميّة تمهّد للخروج من الحداثة بتجاوز نقدي من خلال عمليّة داخل الحداثة نفسها وهنا بداية ميلاد فكرة ما بعد الحداثة في الفلسفة الغربية (ديورانت، 1982، صفحة 548)، والّتي أكّد زيجمونت باومان على أنّها لم تكن إلا امتدادا للحداثة ومفاهيمها الصّلبة الّتي أنتجت حياة يومية سائلة في خصائصها بصورة جعلت المفكرين يضنّونها مرحلة جديد بعد الحداثة. (زيجمونت، الثقافة السائلة، 2018، صفحة 33)
- تأثير نيتشه لم يكن في مجال الفلسفة فقط بل حتى في مجال الأدب والفن وعلم النّفس وغيرها من العلوم، بل تعدى تأثيره حدود الفلسفة الغربيّة لنجده يقتحم فكر وعقول العديد من المفكّرين العرب والمسلمين، فكتب عنه العديد من مفكرينا ومنهم سلامة موسى، عباس محمود العقاد، عبد الرحمن بدوي، فؤاد زكريا، هشام شرابي، مالك بن نبي الّذي ذكر في كتابه شاهد القرن أنّه كان ينصح زملائه في المهجر بقراءة كتاب نيتشه (هكذا تكلم زرادشت) ولعلّ ذلك راجع لموقف نيتشه من النّبي محمّد صلّ الله عليه وأله وسلم ومن الإسلام. (زروخي و آخرون، 2003، صفحة 84)

- رغم الثّغرات الّتي عانت منها فلسفة نيتشه، في كونها لم تستوعب جميع جوانب التّاريخ، إلاّ أنّ هذا الفيلسوف كشف عن إبداع فلسفي وجرأة علميّة في مواجهة الواقع وكل القيم البالية، فلم تمنعه حواجز ولا عوائق من طرح انشغالاته وتأمّلاته الفكريّة فواجه الدّين بكل قداسته، ونقد الميتافيزيقا ولم تمنعه حواجز ولا موانع من طرح انشغالاته وتأمّلاته الفكريّة فقد قال كوفمان عنه:" إنّ القليل من المفكرين في عصرهم الّذين يستطيعون التّأثير في عصرهم مثلما يؤثّر نيتشه". (إبراهيم، 2005، صفحة 301)
- إنّ الحضارة في مفهوم نيتشه مادّية بحته وهو ما لا يستقيم، فالحضارة هي التّقدم الرّوحي والمادّي للأفراد والجماهير على حد السّواء، فلقد نبّه اشبنجلر واشفيستر وتوينبي إلى أن الحضارة الغربيّة تعيش مرحلة النّهاية لأنّها فرغت من محتواها وأصبح التّحلّل الدّيني والأخلاقي والجري وراء مطالب الجسد ورفاهيّته كالدّيدّان الّتي تأكل لحمها. (النشار، 2007، الصفحات 41-58)
- إنّ الحركة التّاريخيّة ذات محتوى إنساني كوني في إطار مقوّماتها الطبيعيّة فالعلاقة الكليّة بين مجموع الظّواهر في سياق الحركة العامّة هي علاقة كونيّة وليست بشريّة فحسب، أي أنّها تسير نحو غاية وليست عبثيّة كما قال نيتشه: "ولا نقول بالغاية المسبقة كوسيلة تحكم مسار الحركة العامّة وتتّجه لها جبريّا، فهناك حريّة في الحركة الماديّة ولكنّها ليست ذاتيّة بل حريّة التّشكل على مستوى نتائج ليست خاضعة بالضّرورة لسياق واحد منذ البداية وهنا يأتي فعل الله في الحركة والتّاريخ البشري". (أبو القاسم، 1996، صفحة 242)
- كانت رؤية نيتشه للتّاريخ محايدة أخلاقيّا وذلك من خلال تأكيده على فكرة البقاء وجعلها قيمة مطلقة فلم يعد هناك مكان للأخلاق، فصناعة التّاريخ ليست لمن هو أرق قلبا وأرحم وأعدل وإنّما للأقوى الّذي يضرب بيد من حديد دون رحمة للضّعفاء. (المسيري، 2003، الصفحات 194، 195)
- لقد أثبت هايدغر من منظور تاريخ الفلسفة أنّ نيتشه يعدّ ضمن سؤال الفلسفة الّذي هو سؤال الميتافيزيقا حيث يقول عنه:" أنّه ينزل داخل خط التّساؤل الفلسفي الغربي" (ولد أباه، 2004، صفحة 51)، وبذلك تصبح فلسفة نيتشه إسهاما في مسار التّأويل الميتافيزيقي الّذي يفكّر في كليّة الكائن، لأنّ لكلّ فترة تاريخيّة أساسها الميتافيزيقي الّذي

تقوم عليه: "إنّ التّاريخ وليد الميتافيزيقا وإنّ الحضارة تجسيد لرؤية كونيّة حياتيّة...فلا يعقل أن يحيا الإنسان بغير خبز كما أنه محكوم عليه بالفناء والتّلاشي الوجودي إن تنكر للميتافيزيقا، فليس بالخبز وحده يعيش الإنسان، كما أنّه لا تاريخ بغير ميتافيزيقا". (بن حمنة، 2003، الصفحات 1، 2)

- لقد كان الإلحاد الصريح بلا قيد هو الافتراض المسبق لمذهب نيتشه من أجل الانتصار على فكرتي الله والعالم الآخر لأنّ الدّين لم يعد متناقضا مع العلم من منظور نيتشه فحسب وإنّما أصبح أداة لإذلال الإنسان، وبالتّالي فقد أعطى نيتشه للإلحاد نظرة بنائية ليصبح مقوّم أساسي في بناء الاتجاه الحداثي في أوربا. (مفرج، 2009، الصفحات 82، 83)

5.الخلاصة

لقد جاءت فلسفة نيتشه كمرحلة انتقال في الفكر الغربي من الحداثة الّتي سعى نيتشه لهدم مقولاتها وأسُسَها بنقده والعبور إلى مرحلة جديدة ورؤية تبنّاها الفكر الغربي وهي ما بعد الحداثة، متبنيا في ذلك منهجا جينيالوجيّا لتحليل التّاريخ ودراسته كمطلق للهدم وإعادة البناء، فأوجد بمنهجه توتّرا في الفكر الغربي امتد أثره للفكر العربي أين عمد الكثير من المفكّرين العرب إلى التّماهي مع فكره دون مراعاة للفروق الأساسيّة في السّياق التّاريخي والثّقافي للعالمين العربي والغربي.

وتتجسّد فلسفة نيتشه عن التّاريخ في مقولة الإنسان الأعلى، كمجسّد للحضارة الّتي ينشدها نيتشه، من خلال رفعه للضّعفاء والمتخاذلين بالقوّة لصنع الحضارة الّتي تسود فيها قيم القوّة وعنفوان الحياة، وقد جاءت فلسفته معبّرة عن عصره الّذي كان يعيشه ويرفض كثيرا من معالم الضّعف فيه ومنها الكنيسة وتعاليمها الأخلاقية الّتي كانت تحث على الضّعف والانحطاط، ما أثار نفور واشمئزاز نيتشه لأنها ألغت دور الانسان وأسلمت إرادته لمثل أعلى، فكان ذلك عائقا في وجه تقدّم البشريّة من وجهة نظر نيتشه، وعلى الرّغم من الانتقادات الّتي وجّهت له تبقى فلسفة نيتشه باعثا على التّجديد والتّفكير والرّغبة في صناعة الحياة وإن اختلفنا معه في منطلقات هذا التّجديد فإنّنا بلا شكّ نتّفق معه أنّ الحياة لا تركن للقديم كقالب جامد وإنّما كحياة متحرّكة باستمرار لتنتج الجديد وتسعد بها الإنسانيّة.

5. قائمة المراجع:

- اسماعيل زروخي، و آخرون. (2003). *التيارات الفلسفية الغربية الحديثة وأثرها على الفكر العربي*. قسنطينة: منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري.
- إيميل برهييه. (1987). *تاريخ الفلسفة الحديثة* (المجلد الجزء7). (جورج طرابيشي، المترجمون) بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.
- باومان زيجمونت. (2017). *الأزمنة السائلة: العيش في زمن اللايقين*. (أبو جبر حجاج، المترجمون) بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- باومان زيجمونت. (2018). *الثقافة السائلة*. (أبو جبر حجاج، المترجمون) بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
- بيار هيبر سوفرين. (2002). *زرادشت نيتشه*. (أسامة الحاج، المترجمون) د.ب: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- جمال مفرج. (2009). *الإرادة والتأويل*. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف.
- ح ألبان، و جري ويد. (1972). *التاريخ كيف يفسرونه من كونفوشيوس إلى توينبي*. (عبد العزيز توفيق جاويد، المترجمون) د.ب: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- حاج حمد أبو القاسم. (1996). *العالمية الاسلامية الثانية* (المجلد المجلد2). بيروت، لبنان: دار ابن حزم للطباعة والنشر.
- دواق الحاج بن حمنة. (2003). *الأساسيات الوجودية الثلاث في فلسفة سبينوزا*. باتنة: الجزائر: شركة باتنيك للطباعة والنشر.
- دولوز ,ج .(2001) .*نيتشه وفلسفت*) .أ .الحاج (.Trad ,بيروت :المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- زاهد أنس. (2007). *هكذا سكت نيتشه، هكذا تكلم زوربا*. د.ت: مؤسسة الانتشار العربي، طوي للنشر والتوزيع.
- زكريا فؤاد. (د.ت). *نيتشه*. القاهرة: مصر: دار المعارف.
- سمير الزغبي. (2008). *نيتشه، الفن والوهم وإبداع الحياة*. د.ب: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع.
- صفاء عبد السلام علي جعفر. (2001). *محاولة جديدة لقراءة فريدريش نيتشه*. د.ب: دار المعرفة الجامعية.
- عبد الرحمن بدوي. (1979). *الموسوعة الفلسفية* (المجلد ج2). د.ب: الدار العربية للتوزيع والنشر.
- عبد الوهاب المسيري. (2003). *دفاع عن الإنسان*. القاهرة: مصر: دار الشروق.

- عطيات أبو السعود. (د.ت). *الحصاد الفلسفي للقرن العشرين*. الاسكندرية: منشأة المعارف جلال حزي وشركاؤه.
- فرانز بيتر بور كارد. (2007). *أطلس الفلسفة*. (جورج كتورة، المترجمون) بيروت: لبنان: المكتبة الشرقية.
- مالك بن نبي. (1985). *شروط النهضة*. دمشق: دار الفكر.
- مصطفى النشار. (2007). *في فلسفة الحضارة*. القاهرة: دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع.
- ميشال فوكو. (2008). *جينيالوجيا المعرفة*. (أحمد السطاتي، و عبد السلام بنعبد العالي، المترجمون) الدار البيضاء: دار توبقال للنشر.
- نيتشه فريدريك. (1981). *الأخلاق أصلها وفصلها*. (حسن قبسي، المترجمون) د.ب: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- نيتشه فريدريك. (1998). *إنسان مفرط في إنسانيته*. (محمد الناجي، المترجمون) بيروت: إفريقيا الشرق للنشر والتوزيع.
- نيتشه فريدريك. (2001). *العلم الجذل*. (سعاد حرب، المترجمون) بيروت: لبنان: دار النتخب العربي.
- ولد أباه ,ا .(2004) .*التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو* .بيروت :لبنان :الدار العربية للعلوم والنشر التوزيع.
- ويل ديورانت. (1982). *قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي*. (فتح الله محمد المشعشع، المترجمون) بيروت: مكتبة المعارف.
- يسرى إبراهيم. (2005). *فلسفة الأخلاق: فريدريك نيتشه*. د.ب: دار التنوير للطباعة والنشر.
- يوسف كرم. (د.ت). *تاريخ الفلسفة الحديثة*. بيروت: لبنان: دار القلم للطباعة والنشر.
- Friedrich , N. (n.d). *la naissance de tragédie.* sigma édition.